

ديانات ومعتقدات المجتمع الأوراسي القديم
- دراسة سوسيوأنثروبولوجية لعينة من المعتقدات السائدة -

Religions and Beliefs of the Ancient Eurasian Society

A socio anthropological study of a sample of prevailing

تاريخ الاستلام : 2023/02/09 ؛ تاريخ القبول : 2023/03/29

ملخص

* رحيمة بن الصغير

المركز الجامعي بريك (الجزائر)

جاءت هذه الدراسة السوسيوأنثروبولوجية في إطار رصد ديانات وأنماط الإعتقادات السائدة في المجتمع الأوراسي القديم، والذي تميز بتنوع الديانات كاليهودية والمسيحية والوثنية وما تمظهر منهما من عبادة الآلهة والأرباب، وصولاً إلى المعتقدات الدينية وما تأتي منها من ممارسات شعبية في محاولة للرجوع لفهم صناعة الفاعل الاجتماعي للمعنى الديني في فضاء الأوراس القديم بالاعتماد على المنهج الأنثروبولوجي التحليلي. وقد خلصت الدراسة إلى أن احتكاك مجتمع الأوراس بغيرهم من الشعوب عزز من تماهي الأفراد بأديان غيرهم ومنها اليهودية والأريوسية إضافة إلى الوثنية المتجذرة تاريخياً ومنه فإن الثقافي يعزز الديني.

الكلمات المفتاحية: الديانات؛ المعتقدات؛ المعتقدات الدينية؛ الآلهة؛ مجتمع الأوراس.

Abstract

This socio anthropological study came within the framework of observing the religions and patterns of beliefs prevailing in the ancient Eurasian society, which was characterized by the diversity of religions such as Judaism, Christianity and paganism and what appeared from the from the worship of gods and lords, down to religious beliefs and the popular practices that came from them in an attempt to return to understanding the making of the social actor of meaning Religious space in the ancient Auras. The study concluded that the contact of the Auras community with other peoples strengthened the identification of individuals with the religions of others, including Judaism and Arianism, in addition to the historically rooted paganism, and from it the cultural reinforces the religious.

Keywords: religions; beliefs; religious beliefs; Gods; Eurasian society.

Résumé

Cette étude socio-anthropologique s'inscrit dans un cadre d'examiner les religions et les croyances dominantes dans la société antique d'Ours, qui se distingue par la diversité des religions telles que le judaïsme, le christianisme, La paganisme et la dévotion aux dieux et aux divinités. En arrivant également et les pratiques populaires qui en découlent dans une tentative de comprendre la signification religieuse dans l'espace antique d'Ours à travers l'approche anthropologique analytique.

L'étude a conclu que l'interaction de la société d'Ours avec d'autres peuples a renforcé les membres de la société à adopter d'autres religions, telles que le judaïsme et l'aryen, ainsi que le paganisme enraciné historiquement, et à partir de là, le culturel renforce le religieux.

Mots clés: religions; les croyances; les croyances religieuses; Déesse ; la société d'Ours.

* Corresponding author, e-mail: rahima.benseghir99@mail.com

I - مقدمة

لا تزال الكثير من المعتقدات التي يؤمن بها الأوراسيون حاضرة ومُفعلة في معاشهم اليومي وعلى مدار السنة بفصولها الأربعة، والتي يمكن التماسها بناءً على الممارسات والطقوس التي يقومون بها. وفي علاقة الطقس بالمعتقد أسلف ريمون بودون " لا يمكن تحديد الطقس إلا بعد أن نكون قد حددنا المعتقد" (1) فمعظم المعتقدات السائدة في المجتمع الأوراسي موروثه من المجتمع التقليدي منتقلة إليه كتراث من المجتمعات البدائية. وفي العموم المعتقدات هي التي تُؤسس الممارسات وهي متأصلة ومتجذرة في ذوات الأفراد على أن لها مبررات عقلانية تتصف بالصدق وتتميز بالوعي التجريبي. وهو ما أقر به إميل دوركهايم " فالتحليل الدوركهايمي للمعتقدات، ولاسيما المعتقدات الدينية، ينهض على مبدأ واحد هو أنه لا يسعني الاعتقاد إلا بما ندرکه مبرراً، وأنا نعتقد به لأننا نرى موضوع اعتقادنا هذا مبرراً" (2)

إن ما أقدم عليه جمهور عريض من الباحثين في طريقة تناولهم وإسقاطهم للمعتقدات - وخاصة ما تعلق منها بالبدائية-أسقطهم في ذاتية مفعمة بمركزية الدين وخلفية الثقافة، فلا يمكن للباحث في الحقل العلمي أن يتجرد من روح الموضوعية وبأن لا يأخذ بعين الحسبان السياق التاريخي - تحديداً عاملاً الزمان والمكان - في تناوله للمعتقد، ذلك أن الإنسان البدائي اعتقد كثيراً في خلاصة تجربته الإنسانية مع الطبيعة من خلال نجاعة وفاعلية ممارسة ما يعتقد به في تسير حياته. كما يُعد الدين ضابطاً لتقنين حياة البشر ولتسهيل معاشهم اليومي، والمعتقد أساس ممارسة هذا الدين، ففعل خلق الآلهة وتوليد الأساطير وكذا الخوف من الغيبات والاعتقاد في ثلوث العين والسحر والحسد كلها من صنيع الفاعل الاجتماعي الأول الذي كان يتماهى مع الخرافة والطبيعة والفكرة الغيبية وما خلق الآلهة إلا تعبير عن تصورات للقوة التي تحكم الوجود.

تهدف هذه المقاربة السوسيو أنثروبولوجية للوقوف على ماهية الديانات التي سادت في مجتمع الأوراس القديم مع رصد منظومة المعتقدات التي آمنوا بها والآلهة التي دانوا بها. كما فرضت علينا طبيعة الدراسة استخدام توليفة منهجية بدءاً بالمنهج الأنثروبولوجي من خلال التقانة الأنثروبولوجية في تقنية الملاحظة المباشرة وبالاستعانة بمخبرين لجمع وتركيب المعطيات، وكذا المنهج التحليلي في التناول الدقيق لتحليل المعتقدات، والمنهج الوصفي في وصف ديانات ومعتقدات مجتمع الأوراس.

لقد انفرد مجتمع الأوراس القديم بخصوصية عالية مستمدة من طبيعته الجيولوجية وكذا توافد ثقافات مختلفة إليه بفعل الاحتلال، فطبيعة المقاومة والاعتزاز بالأرض وكذا الماتريالكية والانتماء الأموسي كلها عناصر ساهمت في بلورة الاعتقاد وتشكيل الديانات والتماهي بالآلهة.

ووفق ما تشغل عليه هذه الدراسة نسعى إلى تحديد ديانات وأنماط الاعتقاد السائدة في مجتمع الأوراس القديم بناءً على طبيعة الفضاء الذي يشغله.

وتأسيساً على ما سبق تُثار إشكالية هذه الدراسة العلمية في الآتي:
ما هي الديانات والمعتقدات التي آمن بها مجتمع الأوراسي القديم؟

2-مقاربة مفاهيمية:

1.2- مفهوم الدين:

لغة: دان بالشيء أي اتخذته ديناً ومذهباً، اعتقده وتخلق به وآمن به، الدين هنا هو المذهب أو الطريقة سواء كان نظرياً أو عملياً (3) وتشير كلمة الدين عند العرب إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر، إذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعاً وإذا وصف بها الطرف الثاني تصبح أمراً وسلطة. والرابطة الجامعة بين الطرفين هي الدستور أو قانون لعلاقة المظهر الذي يعبر عنه رشيد بوسعادة. لا توجد حالة من اللا دين كما ذكر يوسف شلحت: "يلزم الدين الطبيعة البشرية، ولذا تجده في كل حقب التاريخ الإنساني، فلا تاريخ دون أديان توأكبه." (4)

ويعرفه كل من العوا وجيب عادل بأنه "منظومة متماسكة من العقائد والعبادات والطقوس والمعاملات والعادات والتقاليد المتصلة بالمقدس، أي بأشياء مفصولة ومحرمة، وهذه المنظومة تؤلف بين قلوب أتباعها في إطار اتحاد معنوي يسمى ملة." (5)

كما ينظر إميل دوركهايم للدين بالتشبيهُ فيعتبر "أنه شيء اجتماعي، فالظواهر أو الواقع الدينية ظواهر اجتماعية، بمعنى أن الأفكار الدينية والطقوس المتعلقة بها ليست إلا رمزا للعقل الجمعي، ..." (6)

2.2- مفهوم المعتقد:

تعددت تعريفات المعتقد حسب الحقول العلمية التي تتناوله إذ ورد في السوسولوجيا على أنه "ليس سوى حكماً بتعلق بالواقع يقبله الفرد ويؤمن به باعتباره صحيحاً." (7)

هو كل التصورات الراسخة التي يبنينا الفرد حول عالمه الخارجي بناء على خبراته الحياتية والتي يعبر عنها بشكل ممارسات تأخذ مع الوقت طابع الثبات والإلزامية.

3.2- مفهوم الأوراس:

تعود كلمة الأوراس للقرن العاشر للميلاد، حيث ذكرها الإدريسي والبكري وابن خلدون، بهذه التسمية تعددت المداخل في المعاني التي حددت أصل الكلمة من معنى لغوي وايتيمولوجي.

ترتبط كلمة أوراس بكلمة "ورس" والتي تشير إلى لون أو نبات أو صخرة وعن هذه العلاقة يشير العربي دحو: "احتمال وجود صلة لـ" وجود معنى يربط بينهما وهو الأرض، أو النبات." (8) وهو مستثنى لأن أهل المنطقة لم يعرفوا نباتاً بهذا الاسم في حين إذا ما ارتبط اسم الأوراس بالطبيعة فانه "اشتق من التراب الأبيض الموجود بالمنطقة فسبب التسمية -إذن يرجع لوجود هذه التربة بكثرة فعلا إلى اليوم بمكان يسمى "تفلال" وكونهم يستخدمون هذه التربة في غسل عمائمهم البيضاء لأنها مساعدة على تلميعها" (9)

4.2- مفهوم المجتمع:

ورد في تعريف موسوعة العلوم الإنسانية أن المجتمع: " كيان جماعي من البشر بينهم شبكة من التفاعلات الدائمة والمستقرة نسبياً، وتسمح باستمرار هذا الكيان وبقائه وتجده في الزمان" (10)
وعرفت نظرية المجتمع الحديث المتماثل لـ **تالكوت بارسونز** المجتمع بأنه " نوع من النظام الاجتماعي يتسم بأعلى مستوى من الاكتفاء الذاتي فيما يتعلق ببيئته، بما في ذلك النظم الاجتماعية الأخرى" (11)

3- ديانات مجتمع الأوراس القديم :

1.3- عبادة الموجودات:

عُرف عن الأمازيغ أنهم عبدوا كل الموجودات من قمر، شمس، نجوم، كواكب، وديان وبحار وأشجار ونباتات، قمح... فعن الشمس والقمر اعتقدوا أنها حراس للبشر ووضعوا قبورهم في الأماكن التي تسطع فيها الشمس قدر الإمكان ويلمع عليها القمر في كل وقت، "...حتى الأثاث المنزلي وصورت في أغلبها على شكل قمر مثل طاجين الخبز وبشكل دائري مثل القمر والقصعة وأيضاً، فكل شيء يتمنون له النمو بحيث لا ينقطع صوروه بشكل قمر" (12) نلاحظ أن القمر تجسد في أواني المطبخ من صحن والسلال والغربال والكانون وحتى أشكال الأطعمة بشكل دائري مثل الكسرة والبرغير وغيرها، وهذا لقيمة الغذاء وعلاقته بالقمر والخصوبة.

كما عبد الأمازيغ البقرة في شكل الإله **Hathor** (الفرعوني) إله اليتامى مجسد برأس بقرة وتعتبر عبادة البقر من العبادات الشرقية القديمة نظراً لانعدام الحدود البحرية بين شمال أفريقيا والمشرق القديم (الفراعنة، اليونانيين، البابليين، الآشوريين) والتي لا تزال تمارس في الهند، وهي فكرة تتعلق بالنماء لرمز الإله المعطاء الذي يتمثل في صدر البقرة الكبير الحلوب، وكتابات الطاسيلي التي حيرت علماء العالم تحتوي على العديد من الرسوم التي تعبر عن الكرة الأرضية محمولة على بقرة يظهر منها الرأس والقرون، مما يدل على أن عبادة البقر من أقدم العبادات لأن كتابات الطاسيلي من أقدم كتابات العالم. وعبدوا أيضاً النجوم مثل ديانة أهل اليمن بما يُعرف فلكياً "بحزمة الجبار مجموعة نجوم مضيئة جداً في السماء وتلتهب في السماء فتقول الأسطورة أن هذه الحزمة تلتف في السماء بشكل صياد عظيم، اليونانيون اعتقدوا أنه لا يوجد حيوان ينجوا من إله الصيد" (13) وقد قدسوا الموجودات إجلالاً وإكراماً لأسلافهم.

كما عبدوا الكواكب مثل أهل الفرس وذكر **ليون الأفريقي** في كتابه (وصف أفريقيا) عن عبادة الأمازيغ للكواكب قائلاً: "ومن المعلوم أن أفارقة نوميديا وليبيا كانوا يعبدون الكواكب، ويقربون إليها القرابين،..." (14) كما عبدوا الحيوانات واعتقدوا أن هناك آلهة تسكنها مثل الصقر الإله "حورس" المراقب للسماء والأرض والبقرة راعي اليتامى والقط إله الحب والحنان "باست". إن هذه العبادات إذا ما رجعنا إلى سياقها الزمني تدل على أن الإنسان الأمازيغي القديم كان عقلاني ويعبد بالمادة وليست العاطفة لأنه اكتشف القوى في الحيوان.

2.3- الديانة اليهودية:

من الصعب جدا تحديد تاريخ التواجد الأول لليهود في شمال أفريقيا، وقد أثبت المؤرخون أنه عند دخول المسلمين إلى الأوراس وجدوا مجموعة من القبائل تدين باليهودية منها قبيلة جراوة (هواره) بالأوراس التي ترأسها الكاهنة دهبيا بنت ماتيا، وحتى النفوسة بتونس " وقد قيل أيضا بأن جنود طارق بن زياد الأمازيغي كانت فيه طائفة يهودية" (15) كما يذكر شيت محمد خطاب " وجد العرب- المسلمون- أيام الفتح جماعات من يهود أفريقية، ويرى بعض الكتاب أن الأفكار اليهودية بدأت تعرف طريقها إلى البلاد عن طريق الفينيقيين، وذلك قبل أن تهاجر جماعات من يهود إلى المغرب على أياد الرومان، وقد عمل هؤلاء المهاجرون على نشر اليهودية بين بعض قبائل البربر." (16) وكان كل من القديس أوغستين وتارتولي قد كتبوا عن اليهود في قسنطينة وتوات بالجنوب الجزائري، لقد كان اليهود أهل فتنه حيث قاموا بتحريض الأمازيغ الوثنيين ضد المسيحية ودعوهم إلى اعتناق اليهودية. وقد ورث الأمازيغ عنهم ممارسة السحر وبرعوا فيه وفي ذلك يذكر حلیم بركات في تأثرهم "ويضيف إلى ذلك الانطلاق من التنجيم والكهانة مما اشتهر به العبرانيون في القديم..." (17)

3.3- الديانة المسيحية:

ارتبطت المسيحية بالرومان فبدخولهم شمال أفريقيا اعتنقها ساكنة شمال أفريقيا، ويذكر أحمد توفيق المدني في كتابه "قرطاجنة في أربعة عصور أن" ظهرت بالشرق أنوار الديانة المسيحية في أول عهد القياصرة، فاعتنقها جم غفير من الرومان، وتسربت بواسطتهم إلى المغرب، وقدم مبشروها إليه، فأعجب البربر بهذا الدين الأمر بالأخوة والمساواة ومكارم الأخلاق، وتسارعوا إلى الدخول في دين الله أفواجا،..." (18) إن ما يمكن ملاحظته هو انفتاح الأمازيغ على الديانات باستعدادهم اعتناق ما أعجبهم على الرغم من رفضهم تواجد الأعراق واحتلالهم لبلادهم إلى أنهم تسامحوا مع الأديان وخاصة سماحة الإسلام.

لقد انتشرت حركات مسيحية في تامزغا على اختلاف توجهات مذاهبها منها: المذهب الدوناتى نسبة إلى القس دوناتوس وهو مذهب مسيحي أمازيغي مستقل عن المسيحية الرسمية للإمبراطورية الرومانية ومن ثم تحولت هذه الحركة الدينية إلى حركة ثورية تطعمت بأفكار التحرر ومنه تطورت إلى حركة وتنظيم عسكري، إضافة إلى المذهب الأريوسي نسبة إلى القس الأمازيغي أريوس والأريوسية كانت مذهبا مسيحيا وسطيا يختلف عن مسيحية روما يذكر الحمداوي عن هذا المذهب: "وقد انتشر هذا المذهب في شمال أفريقيا وفي مصر، وقد كانت هذه الدعوة ذائعة الصيت في القرن السادس الميلادي، وقد نكل الرومان ومسيحيو التثليث بهؤلاء الأريوسيين أو الأريوسيين الشهداء تنكيلا شديدا، فاقترفوا مذابح بشعة في حق أتباع أريوس، وقتلوا منهم اثني عشر مليوناً" (19)

4-المعتقدات الدينية في المجتمع الأوراسي القديم:

استطاع المجتمع الأوراسي الزراعي التقليدي أن حافظ على هويته المحلية والتكيف مع القيم والمعتقدات الوافدة عليه منذ عهود مع كل المتوافدين عليه وهو ما تجسد في تعايش أنماط متعددة من المعتقدات داخل نسق واحد. ولعل الفضل الكبير يرجع إلى الحياة الجماعية المشتركة وقوة الشعور الجماعي فالجماعة هي إذاً العامل المحافظ على تماسك القيم والمعتقدات، إن المدخل الوظيفي في صيغته الدوركهايمية

يتواتر تماما مع ما يمكن تسميته بالوظيفة العاطفية لممارسة المعتقد والوظيفة الرئيسية الرّمزية كأداة تنظيمية للوحدة الجماعية، يعرف بول ريكور **Ricoeur.P** الاعتقاد بأنه "الجهة الرّمزية التي تسقط معها وظيفة الأفق لتتحول إلى وظيفة الموضوع، مانحة بذلك شرط ولادة الأوثان" (20)

1.4- الاعتقاد في الآلهة:

تميز نسق المعتقدات عند أوائل البربر بتقديس الأسلاف من جهة وفي تمجيد الآلهة من جهة أخرى، وقد سموها على حسب صفاتها كما "رأى سقراط أن صفات الآلهة يمكن اكتشافها من تحليل أسماء الأصنام" (21) ويعتقد ريمون بودون بالنسبة للبدائي، ناتجا عن إرادة الآلهة التي غالباً ما تُوصف بالتقلب وغبابة الأطوار، فقد لزم الإمكان (Contingence) يشكل جزءاً من نظام العالم (22)

وقد كان المخيال الشعبي يولي أهمية لإطعام الآلهة حيث كان يترك لها نصيب على الأسطح في بعض المواسم في بعض المناطق لدرجة أن من بين السلوكيات الموروثة إلى يومنا هذا عند أكل السنبله تترك حبتان ويقال هذا حق الأم في رضاعتنا وإن كانت هي تغطية لتقليد قديم وهو إطعام الآلهة وأيضاً عند طبخ أورشمن في إنار يتم رمي المرق على أركان البيت وعلى عتبة الدار وهناك من يقومون بالوعة في بيت الجد فيرمون الطعام على أركان البيت، والواقع أن هذه الممارسات لم تؤسس للتبرك فحسب، إنها ضاربة في العمق وترجع إلى فكرة إطعام الآلهة وهي فكرة وثنية قديمة. إن أشهر الآلهة "الأكثر ذكراً: بعل، تانيت، ملقرت، أشمون" (23)

1.1.4- الرّبة أو الإله تانيت:

لقد عبد الأمازيغ عامة معبودات فينيقية في قرطاجة "بعل وتانيت" إذ تحدث عنهم ستيفان جيزال **Stéphane Gsell** في قوله: "كانا المعبودان الأكبران للقرطاجيين هما بعل حمون وتانيت بني بعل اللذان يظهران أن أولهما كان إله الشمس، بينما كانت الثانية إلهة قمرية" (24) وتعتبر تانيت من الربات الأهلية القادمة من فينيقية إلى تامزغا "شمال أفريقيا"، يقال أنها من أصل بونريقي (بربري وفنيقي)، من الضروري جدا الرجوع إلى الوثنية البابلية التي اعتقدت في آلهة عظيمة منها بعل أو مردوخ والذي عرفته العرب أيضا باسم هبل وكانت الآلهة تتزوج منها بعليت "آلهة القمر" التي تقابل تانيت وتُعتبر تانيت أيضا عن الخصوبة فهي "ربة الخصوبة" وتقابل اللات عند العرب وبارجيتس في سوريا وأفروديت عند اليونان.

وتروي الأسطورة التي تُحاكي الآلهة المصرية أن بوغنجة غار من إله النيل وطلب عروس المطر تانيت وفي مراجع أخرى تسييلت "ترنزا خطيبة المطر في الصحراء تسمى (تابلبالة)" (25) حيث قدمت نفسها قربانا لأنزار كوجه مشابه لهبة النيل حتى تفيض عليهم الأودية مثل نهر النيل، لكنها رفضته فغضب عليهم وجفت الوديان وبيست الحقول وماتت الحيوانات وضلت تسييلت في قمم الجبال تقوم باستجلاء الأمطار والتضرع لأنزار، ولم يجد الأوراسيون ما يفعلوه لاسترضاء الإله أنزار غير التضرع له والقيام ببعض الطقوس لاستجلاء المطر، وعمدوا إلى تقديم البنات عاريات في الوديان مع بداية موسم المطر مع بدأ موسم المطر حتى صفح عنهم ونزل المطر، ومنذ ذلك الحين أصبح تقديم البنات العاريات تقليدا عند القدماء، لكن تكيف هذا التقليد القديم ليصبح طقس تقدم فيه العرائس والدمى بدل النساء ويسمى

عندهم بـ "بوغنجة" كما سنفصل فيه لاحقاً. ومما يميز رمزية الإله تانيت هو تمثّل الأوراسيين بها لدرجة تصميمها كرمز في المجوهرات وخاصة في "البزيم" وما يعرف بالشاوية إيزايم.

ترمز تانيت إلى الخصوبة وإلى قوة الماء نظراً لتحليل شكل المثلث لها "ويمكن للمثلث أن يحمل رمزية مقدسة للأعضاء التناسلية الذكورية والأنثوية، فمنذ القديم كان الإنسان ينظر إلى عضوي الأنوثة والذكورة نظرة تقديس واعتبرهما رمزاً للإخصاب وسبباً للحياة ولهذا قدس الآلهة الأم الممثلة بالأرض،..." (26)

ويرى رابح لحسن "...وهناك دلالات أخرى لشكل المثلث تستمدّها من طبيعة النظام السياسي البربري، إذ يقول البعض أن كل ضلع من أضلاع المثلث يرمز لمكون أساسي لهذا المجتمع، وهي الفرد، القبيلة ورئيسها الذي يسهر على اتحادها بشكل متكامل" (27)، وكثيراً ما رُمز لها برمز امرأة تتضرع إلى السماء برفع يديها إلى فوق لرمز البزيم ويُعرف أيضاً بالخلالات التي توضع على كتفي الملحفة التي تلبسها المرأة الشاوية عموماً وتصنع من الفضة. وقد ذكر مورو J. B Moreau في كتابه «Les grands symboles méditerranéens dans la poterie algérienne» عن الرموز الأنثوية عند البربر والتي تشبه إلى حد بعيد الأنثى التونسية قرطاج. وتُعد تانيت من آلهة الحب عند البربر وأنها الواهبة للحياة والوجود وتانيت في الثقافة الأمازيغية كانت تعكس قاعدة فكرية وهي أن المرأة تساوي الحياة، وتذكر **ويزة قاليز** عن رمزية خصوبة تانيت "أن الكلمة الأمازيغية التي تقال على المرأة الحامل "تُسنينيث" أو تِسِينِيث بمعنى حُصِبَت من تانيت" (28)

2.1.4- الإله بوغنجة أو أنزار:

بوغنجة "إله المطر" في الأوراس يقابله أنزار في بلاد القبائل، وبالمقابلة مع أساطير الخلق البابلية نجد أن ما يقابل بوغنجة إله المطر عند البابليين هو بعل أو مردوخ حيث عرفت آلهة البابليين بالتخصيص "مرّت على مردوخ أو بعل طقوس متعددة في مبدأ الأمر إله الفصل، ثم صار إله الشمس وإله المطر" (29) هو يقابل إله هبل عند عرب الحجاز إله المطر ويقابل إله إسرائيل الذي انقسم إلى شخصيتين "...بعل إله الخصوبة، والشخصية الثانية يهوا Jeheuh إله الفقر والبؤس والتقوى" (30) وعُرف عند الإغريق بأدونيس.

كانت هناك طقوسية احتفالية خاصة بالأطفال تسمى بـ "أغنجا إيتيرار" حيث يحمل الأطفال ملاعق سقي المرق "غراف" داخل قدر من الطين ويغنون: أيا أنزار أيا أنزار أيا ربي سرسر سا أمان ويدورون حول القرية وهم يرشون الماء فيها للتبرك وصولاً للبيوت.

3.1.4- الإله عمون:

يعتبر معظم الناس أن أمون إله مصري قديم لكنه أمازيغي وشمال أفريقي، قيل بأن له رأس كبش وعن عبادة الكبش يذكر **محمد محي الدين المشرفي**: "هذا، ولم يحذ المغاربة حذو القرطاجيين في الشؤون الاقتصادية والمادية فحسب،...فجعلوا يعبدون الكبش (عمون)، كما كان يعبد القرطاجيون من قبلهم،..." (31) ومن قداسة الإله سميت أسماء إناث الأوراس تيمناً به "الواردة بنصوص العديد من الوثائق الإيبوغرافية" (32)، منها: إيتنالاامون، يرثامون، أرثامون، بولالامون. حيث هذه الأسماء تحمل في شقها الثاني اسم أمون.

لقد ناقش كثير من الباحثين من بينهم باطس، كسيل وغابريال غامبس وغيرهم، "واتضح من خلال تقاطع آراءهم أن الرب أمون أصله صحراوي قبل أن يكون مصرياً، وخاصة، وأن شارة رأس الكباش التي ترمز للرب أمون توجد في النقوش الصخرية التي تعتبر أقدم من المنحوتات الفرعونية: مما يوحي بأن أصل رب أمون أمازيغي صحراوي، وبالتالي فإن أمون طيبة فرع منه" (33) حيث توجد واحة الرب أمون في سيوة بمصر وهناك أمون طيبة (الأقصر). "تقول ميد نستطيع التكهن بأن نفس ما عبده الفراعنة والمصريون القدماء هو أنزار أو إله الماء ويعرف في مصر الفرعونية حسب الكتابات الهيروغليفية بأمون" (34)

4.1.4- الإله الزَّح أو زح:

يقسم الناس في الأوراس بكلمة "دين الزَّح" عند الاستغراب أو الإعجاب الشديد من الأشياء الخارقة ومن شدة الغضب أيضاً، وقد أخبرنا البعض بأن أجدادهم اعتقدوا بإله ذكر اسمه "زح" يرجح أنه ثور وهناك من يقول بأنه كبش، إننا نقدم قراءات لا أكثر وذلك لأننا لم نصادف أو نتعرض لمراجع علمية تثبت ذلك وهو دليل على قوة الثقافة الشفوية الاتصالية في البقاء ضمن مجتمع متحول. ومع هذا فقد عثرنا في مرجع على إله اسمه قزح ارتبط بقوس قزح عرفته بعض المجتمعات مثل قزح عند العرب وكوز عند اليهود " وقال ((كوك)): إن كوز إله أدومي وأنه القزح العربي والرامي اللاهوتي الذي كانت نباله البرق وكان قوسه قوس قزح، فقد كان إله الجبال والبرق والرعد والمطر...فهو يقابل حداد (Hadad) إله المطر عند السوريين وريشيب (Resheph) إله الحرب عند البابليين" (35) ومن التراث ما قيل عن قوس قزح أنه عرس الذئب ومما سبق نستنتج أنه علاقة الإله الزح بالمطر في حين أن سليم سوهالي يرى بأن " اللون المنبعث من القوس الذي يظهر بعد الغيث ما هو إلا تعبير عن فرح أنزار في المخيلة الشعبية بانعكاس طيف ألوان فستان طاسيليا بعد زواجه بها" (36) طاسيليا وهي نفسها تيسيسيلت عاشقة المطر في الميثولوجيا الأمازيغية.

5.1.4- الإله أريس:

أريس وفي مراجع أخرى إيرس هو إله الحرب عند اليونان ويقابله مارس عند الرومان وهو إله الحب عند الإغريق، وأريس هي آلهة تزرع الفتنة والخصام ذكرت في الأساطير اليونانية القديمة، كما أنها تزرع النزاع بين الآلهة والبشر. ولا يُعرف جنس الآلهة ذكرا أو أنثى. لا نعلم من أخذ العبادة عن غيره وذلك كما سبق وأشرنا لأننا شعوب لم تكتب عن حضارتها وقد ذكر محمد عبد المعيد خان عن أصل الإله أريس بأنه "...قد يكون إيرس نفسه تمثالا فينيقيا مثل أدونيس وقد تغيرت صورته في اليونان" (37) ، وقيل بأن أريس أطلقت على آلهة يونانية " ابن زوس وهيرا: الذي اعتقد هوميروس أنه ورث حب المشاغبة من والدته واشتد ولعه بالعراك حتى لم يعد يسره شيء ما غير القتال وسفك الدماء". (38)

6.1.4- الإله غورزيل:

تعد عبادة الأبقار من أقدم عبادات الأمازيغ وهي موثقة في رسومات طاسيلي ناجر وحرم أكلها سابقا ولا تزال مظاهرها موجودة وراسخة في ممارسات المنطقة حيث توجد عادة في المنطقة وهي وضع رأس بقرة فوق المنازل لطرد العين الشريرة

واستبدلت لاحقا بإطارات السيارات، لكن " رأس البقرة هو إله الحرب عند الأمازيغ غورزل" (39)، الإله غورزيل هو إله قبيلة لغواطن الأغواط حاليا وغورزيل هو ابن الإله أمون من زوجته البقرة، وفي الشاوية يقال فلان ذا غورزيل بمعنى هجين" (40) كما تعني كلمة أغرزل بالشاوية المختلط بالجينات مثلا عندما يتزوج رجل أسود بامرأة سوداء يأتي الابن مختلط غير نقي فيطلق عليه أغرزل.

2.4- الاعتقاد في البركة:

يرتبط مفهوم البركة كثيرا بالمقدس ويتم التبرك بأشياء كثيرة من الأطعمة والأشخاص والأماكن وللأوراسيين ممارسات عديدة في ذلك منها:

1.2.4- الاعتقاد بالماء:

إذ يعتبر الماء أهم مقدسات الأمازيغ وقد عرفت حضارات كثيرة تقديس الماء منها الفراعنة والمصريون والآشوريين والعرب في الحجاز الذين كانوا يقدمون الماء لألهتهم عزي ومناة وهبل، وكذلك البابليين " أين عثر علماء الآثار على خزانات للماء المقدس" (41) كما عُثر على أواني للماء والقمح بالقرب من قبور قدماء الأمازيغ وهو دلالة على إطعام الموتى من الملوك مثل الفراعنة. ولا يزال إلى حد الآن ساكنة الأوراس يحافظون على تقليد الخروج للتبرك بسقوط الزخات الأولى للمطر اعتقادا من أنها مباركة وتفتح أبواب الخير على من تسقط عليها وكذلك البرد والتلج.

يرمز للماء في الديانات القديمة برمز الحياة حيث تدور حوله كل الممارسات الطقوسية وفي كل الفصول والمواسم، ويرتبط بخصوصية الآلهة ونشاطها، كثير من الممارسات ارتبطت بماء المطر الذي يمجّد الآلهة مثل تانيت وعن مدلول التساقط يرى إبراهيم بن عرفة: "...بأنه مدلول الحياة البشرية فهاته الأفكار كانت لها بالغ الأثر في التفكير الإنساني فحسب الأساطير الدينية القديمة كانت قطرات الأمطار تشبه مني الرجال (السماء المانحة) إلى النساء (الأرض الخصبة)" (42)

2.2.4- الاعتقاد بالأماكن:

لقد خلق الإنسان المكان المقدس وتماهى به مثلما أسماه ميرسيا إلياد بتحرير المكان المقدس، وعن قداسة المكان يرى ميرسيا إلياد " إن كل مكان مقدس ينطوي على تجلي القداسة وعلى انبثاق المقدس الذي ينجم عنه انتزاع أرض عن وسط كوني مجاور وجعلها مغايرة كيفية." (43) هذا المكان الذي خلقه من أجل أحداث التوازن النفسي داخله، ومن أمثلة الأمكنة المقدسة نجد المنابع والجبال والسفوح والحجارة وغيرها، ولا يزال الأمازيغ يعتقدون ببركتها في الشفاء مثل مياه المنبع الفلاني الذي يشفي من الصرع، وتوجد أماكن عديدة نذكر حجرة تازروث نطيمة وتازروث نحفصية يقدم لها القرابين موجودة بمنطقة ماركونده بتاكسلانت بباتنة، وثاقاميشيليقن التي خصصت للدعاء وتزار كمكان مقدس توجد الكثير من الأماكن توجد فيها طقوس مشابهة لها في كل من تركيا والهند.

3.4- الاعتقاد بالأرواح الشريرة:

لقد ساد اعتقاد قديم في أغلب المجتمعات مفاده أن كل ما يصيب الفرد من أمراض وعلل يعود في الأصل إلى الأرواح الشريرة وغضب الآلهة وهو ما جعل ظاهرة السحر تظهر لإحداث توازن مع هذه القوى من خلال إرضاءها وهو ما يشبه الاعتقاد في قوة المانا لدى بعض الشعوب، تعتبر المانا عند إميل دوركايم تلك المادة الأولية التي نشأت بها الكائنات المتنوعة وعيدتها وقدسيتها الديانات في جميع العصور في حين يعتقد مارسال موس في أنها تمنح القوة والقيمة الدينية والسحرية والاجتماعية للأشخاص والأشياء. والمانا عند المتوحشين عبارة عن "... قوة سحرية مستقلة تماما عن القوة المادية يظهر تأثيرها في أمور الكون على صور شتى..." (44) ومنه استغل الأولون ولازالوا يستغلون عناصر الطبيعة في عملية استرضاء الأرواح الشريرة من أعشاب ونباتات وحيوانات وحتى البشر من الأحياء والموتى وفي أوقات ومواسم وأزمنة معلومة ليصبح بذلك طقسا وعلما وفنا على حد قول لفي ستراوس.

4.4- الاعتقادات التشاؤمية:

لن نبالغ إذا ما قلنا بأن الاعتقاد في التطير والتفؤل والتشاؤم كان محور لحياة الأوراسيين. كما يزخر المجتمع الأوراسي بالكثير من العادات الغربية والتي لا تزال تمارس إلى يومنا هذا وبشكل كبير رغم الصحوة الدينية ورغم عدم مصداقيتها، إلا أن الكثير منهم يرفض تركها بفعل الخوف من الغيبات لا أكثر إلا أن هذه العادات ترسخت بفضل اعتقادات قديمة نذكر منها:

- الخوف من المصائب أو النحس: تخاف الأوراسيات من إعاة بعض الأشياء وفي أوقات معينة مثل ملح الطعام بعد وقت المغرب خوفا من السحر وكذلك إعاة طاحونة القمح " إلا أنهم لا يسمحن أبدا لطاحوناتهم بذلك، إلا أثناء موسم العزابة. ويرفضن حتى استعمالها أمام الباب: فمن شأنه أن يأتي بالمصائب ويجلب البرد على المحاصيل الزراعية. (45)

- المشاهدة: يعتقد الأوراسيون أن الرضيع حديث الولادة لا يدخل على رضيع آخر وإلا سيأخذ منه صحته لدرجة أنه قد يموت، وفي ذلك يقومون بطقوس وقائية حتى تمنع ذلك في حال حدوث المشاهدة. وهي أن تأخذ أم أو جدة الرضيع المدخول عليه خلسة قطعة ثياب من ملابس الطفل الداخل على طفلهم وتقوم بتبخيرها على مبخرات والتسبيح على رأس ابنها حتى تمنع الهزال والمرض عنه في تلك الفترة، ويذهب اعتقادهم إلى أبعد من ذلك حيث أن الطفل المفعول له سيمرض ويهزل بدل الطفل الموقى له.

- مشاهدة العروس، فلا يجوز أن تلتقي عروستان أو تدخل واحدة على أخرى في فترة شهر وذلك مخافة أن تأخذ الداخلة عليها حضها في الزواج، وفي ذلك تطعمها بيدها حبة حلوى عند رؤيتها، والعروس هي التي احتفلت بعقد قرانها أو دخولها.

- الزواج المشترك في يوم واحد، يتشاءم الأوراسيون من إقامة زواج مشترك بين الأخوة ويقال بأنه يجلب النحس والمصائب عندهم.

- الزواج أو الختان أو أي فرح في أيام عاشوراء، يمكن أن نقول بأنه من المحرمات عن الأوراسيون إقامة الأفراح في عشرة الأيام التي تسبق وتواتر عاشوراء وأنها أيام

حزن فلا يجوز في المعتقد العميق أن تتحول إلى أيام فرح، وهي من رواسب الاعتقاد الشيعي.

- قص الشعر وتحسينه وكذا تقليم الأظافر يوم الأربعاء، إن هذا معروف عند شعوب عدة وهو من التراث الإسلامي الذي عرف عن مأثورة سيدنا أيوب وابتلائه في يوم الأربعاء ومن ذلك اعتقدوا بشؤم هذا اليوم.
- النوم صبيحة العيد، يعتقد أن من نام صبيحة يوم العيد ينام حظه في الحياة.

5.4- الاعتقاد في ثالوث: السحر، العين والحسد:

تدخل الممارسات السحرية في المجتمع الأوراسي ضمن الممارسات التلقائية إذ يُقر بعض علماء الأنثروبولوجيا الوظيفيون مثل برونيوسلا ومالينو فيسكي إلى القول بأن ظاهرة السحر لها وظيفة اجتماعية حيث " كانوا يميلون إلى القول بأنه نظراً لأن بعض الممارسات الاجتماعية (الغريبة) - كالشعوذة- قد وجدت، فلا بد وأن تكون لها وظيفة اجتماعية". (46)

تحدث الأنثروبولوجي فستر مارك **E Westermarck** في أطروحته حول أنماط الاعتقاد الديني بالمجتمع المغربي الذي لا يختلف عن المجتمع المغربي ككل، حيث صنفها إلى ثلاثة محاور أساسية: (47)

- اختلاف "الدين الشعبي" للمغاربة عن "الدين الأرطودوكسي" (هكذا) الفقهي.
- التداخل بين الديني والسحري داخل الطقوس الدينية للمغاربة.
- الحضور القوي للبقايا الوثنية داخل المعتقدات الدينية والممارسات المرتبطة بها.
ومن الممارسات المتعددة للأوراسين القيام بأعمال التحصين من العين والحسد كوضع هيكل رأس حمار وكذا تصوير اليد على الباب أو تعليق قرن حيوان فوقه أو تعليق عجلة سيارة. ومن الاعتقادات المرتبطة بالعين أنهم كانوا يخافون كل ما هو جديد ومن ذلك البيوت والنساء (الكنات) والمواليد الجدد والدواب، إذ كانوا يقومون بطقوس اجتناب ابعادا للعين كالتسبيح للرضيع ووضع معلقات لحمايته، دهن يد العروس بالزبدة أو الدهن لطلبه على عتبة المنزل قبل دخولها لاعتقادهم أن هذا الفعل يجعل الخير يندفق عليهم. ومن ذلك قالوا المثل القائل: " فُصُصْ وَغُتْبْ وشيء من الذرية"، كما عمدوا لوضع قرون الحيوانات والعجلات فوق المنازل لإبعاد العين والحسد.

أما المولود حديث العهد يقومون بحمايته من العين والحسد بوضع المواد التالية الشب، الحنثيت، الكمون، مع مسمار صغير مكسور في خرقة ويقومون بلفها جيدا وتعليقه في الرقبة أو وضعه أمام رأسه وكانوا يسمونه بـ "الحرز"، في المقابل يتم وضع خرقة بها كمية من الملح والحنثيت والشعير تربط جيدا وتعلق في رجليها مدة سبعة أيام لغرض إبعاد العين عنها. وهناك من تضع إبرة في محرمة أو غطاء رأسها اعتقاداً أن من ينظر إليها ستصيبه الإبرة في عينه وهي كفيلا لحمايتها من العين والحسد. تختلف الاعتقادات من منطقة لأخرى في الأوراس والجامع بينها أنها تترجم لممارسات.

5- الخاتمة:

ينتمي الفاعل الاجتماعي إلى مجال جغرافي خاص، يمنحه صناعة المعنى كالمعنى الديني - المعتقد والممارسة، الأوراس كجمال وفضاء ساهم في اضعاف خصوصية التفاعل بين أفراد وكذا بنى التصورات الدينية حول ما يعتقدون به وما يمارسونه من قناعات إيمانية، فالمجالي يخلق الثقافي. إن احتكاك مجتمع الأوراس مع شعوب أخرى ساهم أيضا في تماهي الأفراد بأديان غيرهم ومنها اليهودية والأريوسية إضافة إلى الوثنية المتجذرة تاريخيا، واللهجة العامية كموروث شعبي أصيل شاهدة على أسماء أرباب وآلهة الأوراس القديمة مما يشير إلى قوة ما اعتقدوا به قديما.

كتوصية، نشير إلى ضرورة اقام الباحث السوسيولوجي والأنثروبولوجي والثقافة الشعبية والباحث في الأديان عامة لدراسة الرموز الموجودة في الجداريات والنقوش والحلي والوشم والزراحي والأواني الفخارية كمدخل لفهم منظومة الاعتقادات القديمة السائدة ودراسة المجتمعات المحلية، يمكن القول بأنه لا بد من قراءة الفضاء والمجال لفهم طبيعة الذات التي تشغله.

المراجع:

- 1- ريمون بودون. (2010). أبحاث في النظرية العامة في العقلانية في العمل الاجتماعي والحس المشترك، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، ص 251.
- 2-المرجع نفسه، ص 241.
- 3-رشيد بوسعادة (2010 /10 /17). ماهية الدين، ملتقى التدريب، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر2، الجزائر.
- 4-يوسف شلحت (2003). نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني، ط1، بيروت: دار الفرابي، ص 25.
- 5-العوا، جيب عادل. (1977). علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، ط1، بيروت: منشورات عويدات، ص 69.
- 6-صلاح الدين شروخ. (2012). علم الاجتماع الديني العام، الجزائر: دار العلوم للنشر والتوزيع، ص 24.
- 7-ريمون بودون، بوريلىو. (1986). المعجم النقدي لعلم الاجتماع، بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ص 521.
- 8-سمية فالق (2004 /2005). المثل الشعبي في منطقة الأوراس، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الأدب الشعبي، قسم الأدب، جامعة محمد منتوري، قسنطينة: الجزائر، ص 08.
- 9-المرجع نفسه، ص 09.

- 10- ابراهيم سعد الدين. (2005). المجتمع والدولة والوطن، ط3، بيروت: دراسات الوحدة العربية.
- 11- جون سكوت. (2009). علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ص 335.
- 12- عبد الرحمن عزيزو. (2019 / 01 / 13). الجذور التاريخية للثقافة الأمازيغية بالحصنة الشمالية، إقليم الدريعات، ملتقى الحياة الثقافية الأمازيغية، الأسبوع الثقافي الأمازيغي، كلية الأدب العربي، جامعة باتنة 01، الجزائر.
- 13- المرجع نفسه.
- 14- جميل حمداوي. (د.ت). الديانة عند الأمازيغيين، الرياض: شبكة الألوكة، ص 04.
- 15- المرجع نفسه، ص 08.
- 16- محمد خطاب شيت. (1984). قادة فتح بلاد المغرب، ط7، بيروت: دار الفكر، ص 20.
- 17- جميل حمداوي، مرجع سبق ذكره، ص 09.
- 18- المرجع نفسه، ص 10.
- 19 المرجع نفسه، ص ص 11 / 12.
- 20- Ricoeur paul.(1965). *De L'interprétation: Esszi sur Freud*. France: Editions Seuil, P 150.
- 21- مصطفى إسماعيل فاروق. (1980). الأنثروبولوجيا الثقافية، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 286.
- 22- ريمون بودون، مرجع سبق ذكره، ص 236.
- 23 بخوش، زهير. (2017 / 2016). التركيبة البشرية لمجتمع الريف الأوراسي أثناء الاحتلال الروماني دراسة تحليلية ومقارناتية مع أسماء أفراد مجتمعات المراكز الحضرية الرومانية بـ أوراس، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، الآثار القديمة، جامعة الجزائر 02، الجزائر، ص 54.
- 24- جميل حمداوي، مرجع سبق ذكره، ص 06.
- 25- شابحة بذاك. (2012)، نماذج من الثقافة الفلكلورية للمجتمع الأمازيغي، الجزائر: جار الأمل، ص 57.
- 26- حسن نعمة. (1994). ميثولوجيا وأساطير قديمة معجم أهم المعبودات القديمة، بيروت: دار الفكر، ص 41.
- 27- المرجع نفسه، ص 86.
- 28- ويزة قاليز. (2019 / 01 / 08). برنامج *Philo Talk*، الجزائرية 01، الجزائر، 12:30 - 13:00.
- 29- محمد عبد المعيد خان. (1993). الأساطير والخرافات عند العرب، بيروت: دار الخلدونية، ص 118.
- 30- المرجع نفسه، ص 123.
- 31- جميل حمداوي، مرجع سبق ذكره، ص 06.

- 32- زهير بخوش، مرجع سبق ذكره، ص 43.
- 33- هيرودوت. (2009). أحاديث هيرودوت عن الليبيين والأمازيغ، المغرب: دار المعارف، ص 60.
- 34- ابراهيم بن عرفة، جمال معتوق. (2017). الماء بين المقدس والطقوس الممارسة دراسة مونوغرافية في منطقة بئر الذهب تبسة، مجلة أنثروبولوجيا، ع 01، المجلد 03، الجزائر، ص ص 07-22.
- 35- هيرودوت، مرجع سبق ذكره، 141.
- 36- سليم سوهالي. (2019 /10 /12). مقابلة علمية، دار السينما، باتنة/ الجزائر، 14:00-09:30.
- 37- محمد عبد المعيد خان، مرجع سبق ذكره، ص ص 139-140.
- 38- سمية فالح، مرجع سبق ذكره، ص 09.
- 39- سليم سوهالي
- 40- محمد مرداسي. (2019/11 /18). مقابلة علمية، دار السينما، باتنة: الجزائر، 11:00-09:00.
- 41- عبد الرحمن عزيزو، مرجع سبق ذكره.
- 42- ابراهيم بن عرفة، جمال معتوق، مرجع سبق ذكره، ص 13.
- 43- ميرسيا إلياد. (2009)، ص 64.
- 44- يوسف شلحت، مرجع سبق ذكره، ص 62.
- 45- عبد الملك عثمانة. (2020/2019). الأوراس بين الفضاء والمقدس دراسة سوسيوأنثروبولوجية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأنثروبولوجيا، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر2، الجزائر، الموسم الجامعي 2018 /2019، ص 203.
- 46- جوردن مارشال. (2007). موسوعة علم الاجتماع، ط2، المجلد 01، مصر: المجلس الأعلى للثقافة، ص 418.
- 47- عبد الغني منديب. (2010). الدين والمجتمع دراسة سوسولوجية للتدين بالمغرب، ط2، المغرب: أفريقيا الشرق، ص 18.